

الرَّسَالَةُ ٣٠٢

لِمَاذَا هَذَا الْإِتْلَافُ؟

(Arabic – They asked: Why this waste?)

أحباي.. حديثنا اليومَ مَوْضُوعُهُ: لِمَاذَا هَذَا الْإِتْلَافُ؟

ومن إنجيل متى الأصحاح السادس والعشرين نقرأ الأعدادَ من السادس إلى الثامن:

"وفيمَا كَانَ يَسُوعُ فِي بَيْتٍ عَنِيَا فِي بَيْتِ سِمَعَانَ الْأَبْرَصِ. تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةٌ طَيِّبٍ كَثِيرٍ الثَّمَنِ. فَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ مُتَكِيٌّ. فَلَمَّا رَأَى تَلَامِيذُهُ ذَلِكَ اغْتَاظُوا قَائِلِينَ: لِمَاذَا هَذَا الْإِتْلَافُ؟"^١

الإِتْلَافُ سُلُوكٌ مُشِينٌ لَا يَرْضَاهُ عَاقِلٌ. وَلَكِنْ كَيْفَ نَحْكُمُ عَلَى تَصَرُّفٍ مُعَيَّنٍ أَنَّهُ إِتْلَافٌ وَنَكُونُ مُنْصِفِينَ فِي حُكْمِنَا؟. إِنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ يَحْتَاجُ إِلَى حِكْمَةٍ وَرُوحٍ تَمَيِّزٍ حَتَّى لَا يَكُونُ حُكْمُنَا عَشَوَانِيًّا مَبْنِيًّا عَلَى الْأَهْوَاءِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْأَغْرَاضِ الذَاتِيَّةِ. وَلَا يَكُونُ نَاتِجًا عَنْ جَهْلِ بَمَا يُحِيطُ بِالْوَضْعِ الَّذِي تَمَّ فِيهِ الْعَمَلُ الَّذِي حُكْمُنَا عَلَيْهِ بِأَنَّهُ إِتْلَافٌ. فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ الْعَمَلُ مُسْتَحِقًّا لِلثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ وَالتَّقْدِيرِ. وَبِالرَّجُوعِ إِلَى مَا ذَكَرَهُ الْبَشِيرُونَ مَتَى وَمُرْقِسُ وَلَوْقَا وَيُوحَنَّا عَنْ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَكَبَتْ قَارُورَةَ طَيِّبٍ كَثِيرٍ الثَّمَنِ عَلَى رَأْسِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ، نَسْتَطِيعُ أَنْ نَذْرَكَ كَمْ كَانَ عَمَلُ تِلْكَ الْمَرْأَةِ عَظِيمًا. قَالَ الرَّبُّ أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُخْبَرَ بِهِ تَذْكَارًا لَهَا حَيْثَمَا يَكْرَزُ بِالْإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ.^٢

جَاءَ بِرِسَالَةِ يَعْقُوبَ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ: "وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ تَعَوَّزَهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللَّهِ. الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلَا يُعِيرُ فَيَسْجَعُ لَهُ". هَذَا يَعْنِي أَنَّ الْحِكْمَةَ الَّتِي هِيَ عَطِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ لَيْسَتْ الْحِكْمَةُ الْأَرْضِيَّةُ الْبَشَرِيَّةُ. إِنَّهَا عَطِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ لِطَالِبِيهَا. وَبِالْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ نَجِدُ مَقَارَنَةً بَيْنَ نَوْعَيْ الْحِكْمَةِ: الْحِكْمَةُ الْبَشَرِيَّةُ وَالْحِكْمَةُ الَّتِي هِيَ عَطِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ لِطَالِبِيهَا. فَلَقَدْ قَالَ يَعْقُوبُ: "مَنْ هُوَ حَكِيمٌ وَعَالَمٌ بَيْنَكُمْ فَلْيُرِ أَعْمَالَهُ بِالتَّصَرُّفِ الْحَسَنِ فِي وَدَاعَةِ الْحِكْمَةِ. وَلَكِنْ إِنْ كَانَ لَكُمْ غَيْرَةٌ مَرَّةً وَتَحَزَبٌ فِي قُلُوبِكُمْ فَلَا تَفْتَخِرُوا وَتَكْذِبُوا عَلَى الْحَقِّ. لَيْسَتْ هَذِهِ الْحِكْمَةُ نَازِلَةٌ مِنْ فَوْقِ بَلْ هِيَ أَرْضِيَّةٌ نَفْسَانِيَّةٌ شَيْطَانِيَّةٌ. لِأَنَّهُ حَيْثُ الْغَيْرَةُ وَالتَّحَزُّبُ هُنَاكَ التَّشْوِيشُ وَكُلُّ أَمْرٍ رَدِيءٍ. وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقِ فَهِيَ أَوْ لَا طَاهِرَةٌ. ثُمَّ مُسَالِمَةٌ مُتَرْفِقَةٌ. مُدْعِنَةٌ مَمْلُوءَةٌ رَحْمَةً وَأَثْمَارًا صَالِحَةً. عَدِيمَةٌ الرَّيْبِ وَالرِّيَاءِ".^٣

وَبِالتَّأْمُلِ فِي قِصَّةِ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ وَمَعَهَا قَارُورَةُ الطَّيِّبِ كَثِيرِ الثَّمَنِ. وَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ مُتَكِيٌّ فِي بَيْتِ سِمَعَانَ الْأَبْرَصِ فِي بَيْتٍ عَنِيَا. نَسْتَخْلِصُ مِمَّا فَعَلْتَهُ وَأَثَرَ ضَجَّةِ كِبَرَى عَلَيْهَا. وَمِمَّا قَالَهُ سِمَعَانُ عَنِيَا. وَقَوْلَ الرَّبِّ يَسُوعَ الَّذِي أَخْرَسَ أَقْوَالَ الَّذِينَ اغْتَاظُوا حَقْدًا عَلَيْهَا. وَالَّذِينَ اغْتَاظُوا لِسُوءِ فَهْمِهِمْ. وَالَّذِينَ اغْتَاظُوا طَمَعًا فِي تَفْعِ مَادِيٍّ مُتَسْتَرِينَ فِي مَطَهْرِ الشَّفَقَةِ عَلَى الْفُقَرَاءِ. وَنَتَعَلَّمُ دُرُوسًا نَوْجَهَا فِي ثَلَاثَةِ:

أولاً: المؤمن الذي نال حكمة علوية لا يعبا كثيرا بأقوال البشر عليه.. فبالتأمل في أقوال الناس عن تلك المرأة لا نجد فيها كلمة مُشجِّعة لها. بل على العكس كانت كلمات نقدٍ لاذعٍ ولومٍ وتقريعٍ لا تتناسبُ ورائحة الناردِينِ كَثِيرِ الثَّمَنِ الَّتِي فَاحَتْ. إِنَّ مَا سَكَبْتَهُ مِنْ طَيِّبِ أَنْعَشِ الصَّدُورِ. فَلِمَاذَا قَامُوا بِعَقَابِهَا بِإخْرَاجِ كَلِمَاتٍ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ رَائِحَتَهَا لَا تَفُوحُ إِلَّا مِنْ قُلُوبِ مَرِيضَةٍ؟. لَقَدْ كَتَبَ عَنْهُمْ مُرْقِسُ الْبَشِيرُ فِي إِنْجِيلِهِ يَقُولُ: "وَكَانَ قَوْمٌ مُغْتَاطِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا لِمَاذَا كَانَ تَلْفُ الطَّيِّبِ هَذَا. لِأَنَّهُ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يُبَاعَ هَذَا بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ وَكَانُوا يُؤَنَّبُونَهَا". وَكَتَبَ لَوْقَا الْبَشِيرُ فِي إِنْجِيلِهِ يَقُولُ عَنْ ذَلِكَ الْفَرِيْسِيِّ الَّذِي دَعَا الرَّبَّ يَسُوعَ: "فَلَمَّا رَأَى الْفَرِيْسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ. تَكَلَّمَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا لَعَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَلْمِزُهُ وَمَا هِيَ. إِنَّهَا خَاطِئَةٌ!". وَكَتَبَ مَتَى الْبَشِيرُ فِي إِنْجِيلِهِ يَقُولُ: "فَلَمَّا رَأَى تَلَامِيذُهُ ذَلِكَ اغْتَاظُوا قَائِلِينَ: لِمَاذَا هَذَا الْإِتْلَافُ. لِأَنَّهُ كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يُبَاعَ هَذَا الطَّيِّبُ بِكَثِيرٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ". وَكَتَبَ يُوحَنَّا الْبَشِيرُ فِي إِنْجِيلِهِ يَقُولُ: "فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ

استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل متى ٢٦: ٦ - ٨ ، إنجيل مرقس ١٤: ٣ - ٩ ، إنجيل لوقا ٧: ٣٦ - ٥٠ ، إنجيل يوحنا ١٢: ٣ - ٨
^٢ إنجيل متى ٢٦: ٦ - ١٣ ، إنجيل مرقس ١٤: ٣ - ٩ ، إنجيل لوقا ٧: ٣٦ - ٥٠ ، إنجيل يوحنا ١٢: ٣ - ٨
^٣ سفر الأمثال ٩: ١٠ ، رسالة يعقوب ٣: ١٣ - ١٨ & ١: ٥

وَهُوَ يَهُودًا سَمِعَانُ الْإِسْحَرْيُوطِيُّ الْمُرْمَعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ. لِمَاذَا لَمْ يُبَّعْ هَذَا الطَّيِّبُ بِثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ. قَالَ هَذَا لَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ يُبَالَى بِالْفُقَرَاءِ بَلْ لِأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يَلْقَى فِيهِ".^١

ثانياً: المؤمنُ يصنمُ إذا هُوجِمَ لأنَّ الرَّبَّ يدافعُ عنه.. إِنَّ الْمَرْأَةَ صَاحِبَةَ قَارُورَةِ الطَّيِّبِ لَمْ تَدَافِعْ عَنْ نَفْسِهَا. رَأَتْ بَعِيْنِيهَا الْقَوْمَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا بَغِيْظًا. لَمْ يُعْجِبُهُمْ أَنَّهَا سَكَبَتْ الطَّيِّبَ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُبَاعَ بِأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ عَلَى رَأْسِ وَقَدَمَيْ الرَّبِّ يَسُوعَ وَتَدَهْنُهُمَا بِهِ. وَسَمِعَتْ بِأَذْنِيهَا تَأْنِيْبُهُمْ لَهَا. وَاشْتَمَّت رَائِحَةَ الْاِحْتِقَارِ وَالْاِزْدِرَاءِ لِأَنَّهَا امْرَأَةٌ خَاطِنَةٌ مِنْ سَمِعَانَ الْفَرِيْسِيِّ الَّذِي دَعَا الرَّبَّ يَسُوعَ لِيَأْكَلَ فِي بَيْتِهِ. وَاسْتَكْرَتْ تَلَامِيْذَ السَّيِّدِ الْمَسِيْحِ مَا فَعَلَتْ لِأَنَّهَا لَا تَبَالَى بِالْفُقَرَاءِ. إِنَّ الْوَحْيَ الْإِلَهِيَّ فِي الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعَةِ لَمْ يُسَجَّلْ أَنَّهَا نَطَقَتْ بِكَلِمَةٍ تَدَافِعُ بِهَا عَنْ نَفْسِهَا مَعَ أَنَّ الْهُجُومَ عَلَيْهَا كَانَ عَنِيفًا. كُلُّ مَا سَجَلَهُ الْوَحْيُ عَلَيْهَا أَنَّهَا وَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ الرَّبِّ يَسُوعَ مِنْ وَرَائِهِ بِأَكْيَةٍ وَابْتَدَأَتْ تُبَلِّغُ قَدَمِيْهِ بِالذَّمُوعِ وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا وَتَقْبِلُ قَدَمِيْهِ وَتَدَهْنُهُمَا بِالطَّيِّبِ.^٢

لقد أعلن إبليسُ عليها حرباً وجدَّ لها كثيرين. ولكنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ أَخْرَسَ الْجَمِيْعَ بِدِفَاعِهِ عَنْهَا وَهِيَ صَامِتَةٌ. فَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ: "لِمَاذَا تَزْعَجُونَ الْمَرْأَةَ فَإِنَّهَا قَدْ عَمَلَتْ بِي عَمَلًا حَسَنًا. لِأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ. فَإِنَّهَا إِذْ سَكَبَتْ هَذَا الطَّيِّبَ عَلَى جَسَدِيْ إِثْمًا فَعَلَتْ ذَلِكَ لِأَجْلِ تَكْفِيْنِي. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ حَيْثُمَا يَكْرَزُ بِهَذَا الْإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ يُخْبِرُ أَيْضًا بِمَا فَعَلْتُهُ هَذِهِ تَذْكَارًا لَهَا". وَذَكَرَ لَوْقَا الْبَشِيْرُ بِإِنْجِيلِهِ قَوْلَ الرَّبِّ يَسُوعَ لِسَمِعَانَ الْفَرِيْسِيِّ: "أَنْتَظِرُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْنَكَ وَمَاءٌ لِأَجْلِ رِجْلِيْ لَمْ تَعْطِ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلِيْ بِالذَّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. قَبْلَةَ لَمْ تَقْبَلْنِي وَأَمَّا هِيَ فَمَنْذَ دَخَلْتُ لَمْ تَكْفِ عَنْ تَقْبِيْلِ رِجْلِيْ. بَزِيْتُ لَمْ تَدَهْنِ رَأْسِيْ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنْتْ بِالطَّيِّبِ رِجْلِيْ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَقُولُ لَكَ قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيْرَةَ لِأَنَّهَا أَحْبَبَتْ كَثِيْرًا. وَالَّذِي يُغْفِرُ لَهُ قَلِيْلٌ يُحِبُّ قَلِيْلًا". ثُمَّ قَالَ لَهَا: "مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ". فَاِبْتَدَأَ الْمُتَكَبِّرُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: "مَنْ هَذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضًا؟" فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ "إِيمَانُكَ قَدْ خَلَّصَكَ. اذْهَبِيْ بِسَلَامٍ". إِنَّ تِلْكَ الْمَرْأَةَ هِيَ مَرْيَمُ أُخْتُ لِعَازِرَ إِذْ مَكْتُوبٌ: "وَكَانَتْ مَرْيَمُ الَّتِي كَانَ لِعَازِرُ أَخُوَهَا مَرِيضًا هِيَ الَّتِي دَهَنْتْ الرَّبَّ بِطَّيِّبٍ وَمَسَحَتْ رِجْلِيْهِ بِشَعْرِهَا".^٣

ثالثاً: تلك المرأة ما كان لها ربُّها حسيته نفاية لكي تريح المسيح.. أَرْعَجُوهَا بِلَوْمِهِمْ وَتَأْنِيْبِهِمْ لَهَا عَلَى مَا فَعَلْتُهُ وَلَكِنَّهَا لَمْ تَعْرِهْمُ التَّفَاتًا. اِكْتَفَتْ بِأَنَّهَا مَلَأَتْ الْبَيْتَ بِرَائِحَةِ طَيِّبِهَا. إِنَّ طَيِّبَهَا كَثِيْرٌ لِثَمَنِ لِذَلِكَ رَأَتْ أَنَّ أَفْضَلَ طَرِيْقَةً لِاسْتِخْدَامِهِ لَيْسَتْ بِبَيْعِهِ. بَلْ سَكَبَهُ عَلَى رَأْسِ ذَاكَ الَّذِي اِنجذبَتْ إِلَيْهِ. إِذْ رَأَتْ فِيهِ طَهْرًا وَقِدَاسَةً وَوِدَاعَةً. فَارَادَتْ أَنْ تَتَّالَ نَصِيْبَهَا مِنَ التَّطْهِيرِ وَالتَّقْدِيْسِ مِنْ ذَلِكَ الْوَدِيْعِ الْمُتَوَاضِعِ الْقَلْبِ. فَتَالَتْ بِرَائِحَةِ طَيِّبِهَا مَا تَمَنَّتْ. قَالَ يَهُودَا الْإِسْحَرْيُوطِيُّ: "لِمَاذَا لَمْ يُبَّعْ هَذَا الطَّيِّبُ بِثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ. لِأَنَّهُ كَانَ سَارِقًا". شَتَانُ الْفَرْقِ بَيْنَ رَجُلٍ كَالْإِسْحَرْيُوطِيِّ بَاعَ سَيِّدَهُ بِثَلَاثِيْنَ مِنَ الْفِضَّةِ. وَامْرَأَةً سَكَبَتْ مَا قِيَمْتُهُ ثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ عِنْدَ قَدَمَيْ ابْنِ اللَّهِ الْمُنْجَسِّدِ الَّذِي هُوَ "بِهَاءٍ مَجْدٍ اللَّهُ وَرَسْمِ جَوْهَرِهِ وَحَامِلِ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةٍ قَدْرَتَهُ".^٤

قال بولس الرسولُ في رسالته إلى مُؤمِنِيْ فِيلِبِّي: "لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبْحًا فَهَذَا قَدْ حَسَبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيْحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيْحِ يَسُوعَ رَبِّي الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ وَأَنَا أَحْسِبُهَا نَفَايَةً لِكَيْ أَرْبِحَ الْمَسِيْحَ". وَكَتَبَ يُوْحَنَّا فِي اِنْجِيلِهِ: "فَاخَذَتْ مَرْيَمُ مَنَا مِنْ طَيِّبِ نَارْدِيْنِ خَالِصٍ كَثِيْرٍ الثَّمَنِ وَدَهَنْتْ قَدَمِيْ يَسُوعَ وَمَسَحَتْ قَدَمِيْهِ بِشَعْرِهَا". مَا كَانَ لَهَا رِبْحًا حَسِيْتُهُ نَفَايَةً. لِكَيْ تَرْبِحَ الْمَسِيْحَ.^٥

عزيزي القارئ.. لِيَتَّكَ تَشْتَرِكُ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيَّ.. أَسْكُبُ نَفْسِي أَمَامَ جَلَالِكَ مُعْتَرِفًا بِأَنِّي لَا أَحْسِبُ نَفْسِي مُسْتَحَقًّا لِلدَّمِ الثَّمِينِ. الَّذِي سَكَبَهُ الْاِبْنُ الْحَبِيْبُ عَلَى صَلِيْبِ الْعَارِ مِنْ أَجْلِي. لِيَنْقِلَنِي مِنَ الْعَبُودِيَّةِ وَيَجْعَلَنِي وَاحِدًا مِنْ أَوْلَادِكَ. مَحْسُوبًا فِي صُفُوفِ الْأَحْرَارِ الْأَبْرَارِ. تَقْبِلْ شُكْرِي إِلَهِي وَحَمْدِي وَتَمَجِيْدِي لِاسْمِكَ الْعَظِيْمِ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ الْبَارِ. مُتَكَلِّمًا عَلَى وَعْدِكَ يَا مَنْ قَلْت: مَنْ يَقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرُجُهُ خَارِجًا.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل لوقا ٦: ٢٦

^٢ سفر الخروج ١٤: ١٤

^٣ إنجيل لوقا ١١: ٤٢

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمِنِيْ فِيلِبِّي ٢: ٦ - ٨ ، إنجيل يوحنا ١٢: ٥ ، الرسالة إلى العبرانيين ١: ٣

^٥ رسالة بولس الرسول إلى مؤمِنِيْ فِيلِبِّي ٣: ٧ ، إنجيل يوحنا ١٢: ٣